(حقوق الزمالة والصحبة)

الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصابرين، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وشفيعنا محمدا عبده ورسوله النبي الأمي الأمين، فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد:

إذا كانت الزمالة أو الصحبة سواء في العمل أو في المسجد أو في طريقك أو في سفرك لأجل الله وتتقي الله فيها فهذه الصحبة والزمالة تكون سبب للسعادة في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فبهذه المحبة الصادقة يشعر العبد بحلاوة الإيمان حينما يستقر في قلبه، ففي صحيح البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ).

وأما في الآخرة فهما كما اجتمع في صحبة وزمالة صادقه وراعى كلا منهما حق صاحبه فإن الله جل وعلا يجمعهم صحبة يوم القيامة تحت ظل عرشه، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ) – وذكر من السبعة – (وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ)".

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله لما قضى صلاته أقبل على الناس بوجهه، قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ، النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ). فَجَثَى رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ، وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ انْعَتْهُمْ لَنَا حَلِّهُمْ لَنَا، يَعْنِي صِفْهُمْ لَنَا، شَكِّلْهُمْ لَنَا، فَسُرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي اللهِ وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

وللصحبة والزمالة حقوق هامة فعلى قدر الوفاء بتلك الحقوق تكون قيمة العبد عند ربه ففي سنن الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ).

ومن هذه الحقوق:

– الاحترامُ المتبادلُ بين زملاءِ العملِ: مِن الأساسياتِ التي يجبُ توافرهَا لخلقِ بيئةِ عملٍ صحيةٍ الاحترام، فهو يعملُ على تنميةِ وتعزيزِ روحِ الفريقِ، كما ينتجُ عنه زيادةٌ في الكفاءةِ والإنتاجيةِ لدى الموظفينَ، والاحترامُ يجبُ أنْ يكونَ لجميعِ الزملاءِ بدونِ أيّ استثناءٍ وبغضّ النظرِ عن مركزهِم أو طبيعةِ عملِهم أو معتقدِهِم، واللهُ أمرَ نبيَّه ﷺ بالاحترامِ وباللينِ وبالرفقِ مع أصحابهِ بل ومع الناسِ أجمعين فقال مخاطبًا إيّاه: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) (الحجر:88)، وقال تعالى: (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا)(البقرة: 83)، أي تخيرُوا مِن الكلماتِ أحسنهَا ومِن العباراتِ أدقَّها ومن الألفاظِ أجملهَا جبرًا لخواطرِ الناسِ ومراعاةً لمشاعرِهم .

– الوقوف بجانبه في الأزمات: فعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ).

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِى حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم.

– زيارته في مرضه: ولو يعلم الناس فضلها علم اليقين لما تهاونوا بها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قال: « مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلا »؛ (رواه الترمذي).

– حفظ سره: قيل لبعض الأدباء: كيف حفظك للسر؟ قال: أنا قبره.

حفظ غيبته: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ».

– من حقوق الصحبة أيضا الدعاء له في حياته وبعد مماته: قال الصحابي أبو الدرداء: إني لأدعوا لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم.

وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك، مهتم مما قدمت وما صرت إليه، يدعوا لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى.

هكذا تكون الصحبة التي لا ينقطع فضلها عن أهلها في الدنيا والآخرة، فاللهم اجعلنا من أهلها يا كريم، وصلى الله وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

كتبه فضيلة الشيخ/ محمد منصور محمد – مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.